الإمام الخميني وإحياء الفكر الديني - رؤية استشراقية

الدكتور مير محمد حسين هدى
تعريب: محمد حسن زراقط

تمهيد:

الفكر الديني هو نمط من الفكر يستوعب في طياته متغيرات الفكر الإنساني بوصفها تابعاً للثوابت الدينية. والمقصود من هذه الثوابت هو تلك الحقائق الخالدة التي أوحاها الله سبحانه وتعالى إلى بعض عباده وبقيت على حالها كما نزلت على قلوب هؤلاء العباد الرسل. وما يطرأ عليه التبدّل والتغيير هو ذهن الإنسان وعقله، الذي يوصف بالضعف تارة وبالقوة تارة أخرى باعتبار علاقته ومدى مقاربته لهذه الحقائق الثابتة؛ ويعبر عن هذه الحالات، ولو خطأ وتسامحاً بـ «حياة الدين» في حالة التواصل بين العقل الإنساني والثوابت الدينية، وبـ «موت الدين» في حالة القطيعة بينهما.

والفكر الديني، والذي هو بالبداهة المعنى المقابل والمعارض للفكر غير الديني، كانت له حالات صعود وهبوط في تاريخ الأديان كلها على السواء؛ وفي عصرنا هذا حيث السرعة الكبيرة في طروء التحول والتبدل في ساحة الاجتماع الإنساني، يمكن القول: إن هذا العصر هو عصر أزمة الفكر غير الديني، وحاجة البشرية إلى اللجوء إلى الدين بوصفه المنقذ الوحيد للبشرية من مخمصة الغرق في المادة والماديات.

إحياء الفكر الديني:

بناء على ما تقدم أعلاه، لا شك في أن مصطلح «إحياء الفكر الديني» يمثل تعبيراً آخر عن دوران أفلاك الفكر الإنساني حول محور الثوابت الدينية. وقد شغلت هذه الظاهرة عقول المفكرين طيلة العقود الأخيرة من القرن العشرين، وبخاصة في الغرب، وعقدت عشرات بل مئات المؤتمرات والندوات لدراستها، كما دوِّنت آلاف الكتب والمقالات للبحث في أسبابها وآثارها ومعالجة ما يتعلق بها من أسئلة وإشكاليات. والإمام الخميني(ره)، واحد من هؤلاء الإحيائيين الذين حظوا بوقفات بحثية، حاولت مقاربة دوره في تأسيس جغرافيا سياسية جديدة في العالم، اسمها إيران الإسلامية.

وسوف تحاول هذه المقالة عرض رؤية مجموعة من المفكرين والكتاب الغربيين إلى الإمام الخميني(ره) بوصفه واحداً من الإحيائيين الكبار، الأمر الذي اعترف به كثيرون من المستشرقين والكتاب المهتمين بالإسلام والدراسات الإسلامية، وقد كتب الكثير في هذا المجال منه ما هو صريح مباشر ومنه ما ليس كذلك. ومما كتب في هذا الميدان ما نشره الدكتور راينهارد لو مدير معهد الدراسات الفلسفية بهانوفر ألمانيا[١]، وهو حاصل ثلاثين دراسة قدمت إلى مؤتمر: «الإسلام والمسيحية في أوروبا» والذي عقد عام ١٩٩٢م. وفي هذا الكتاب يعترف المؤلف بأن طفرةً ما تثير الحيرة والإعجاب طرأت على الدور الإسلامي، بل ويعترف في كتابه هذا، بأنه كان للثورة الإسلامية في إيران أثرها الكبير على العالم الإسلامي بل على الحضارة الغربية نفسها. ومن هنا، يوصي أوروبا بضرورة فهم الإسلام والتعرف عليه وفتح باب الحوار معه.

الوضع الحالي للفكر الديني:

إن منحنى حركة الفكر الديني في أواخر القرن الماضي، كانت في تصاعد مستمر سواء في ذلك العالم الإسلامي وغيره من أقطار الأرض. وقد اتفقت كلمة مراكز الدراسات الغربية والإحصائيات التي أصدرتها حول العالم الإسلامي والمسلمين المقيمين خارج نطاق العالم الإسلامي على هذا السير التصاعدي لحركة الفكر الديني. أما في العالم الإسلامي، فقد لوحظ ما يلي:

١- اشتداد قوة الوعي الديني وبخاصة بين الشباب.

٢- أبدى المسلمون مزيداً من الجدية في الالتزام والتمسك بالمعتقدات الدينية.

٣- زيادة الإقبال على الانخراط في الحركات الإسلامية.

٤- الإقبال المتزايد على تعلم القرآن الكريم والأحكام الإسلامية[٢]

٥- تحول الإسلام في كثير من مناطق العالم إلى عنصر أساس في الهوية القومية الوطنية للمسلمين، وبخاصة عند مسلمي أوروبا الشرقية[٣]...

٦- في المقابل لوحظ ضعف في انتشار الفكر غير الديني، وتراجع ملفت له في المجتمعات الإسلامية.

٧- نمو ملحوظ في الإقبال على اعتناق الإسلام على مستوى العالم، وكنموذج على هذه الظاهرة يعترف جان لين لا كابل (Jean -Lin Lacapelle) أحد المحللين الفرنسيين الكبار اعترافاً مشوباً بالتحذير بأن فرنسا وحدها تشهد دخول خمسين ألف معتنق جديد للإسلام[٤]...

٨- زيادة عدد الدول الإسلامية من ٤٦ دولة عام ١٩٧٩ إلى ٥٦ دولة عام ١٩٩٧ ما يشكل ثلث عدد أعضاء الأمم المتحدة، وتبلغ مساحة هذه الدول ربع مساحة الأرض المسكونة، وحول عدد المسلمين في العالم فإننا إذا احتسبنا الـ ٤٠٠ مليون مسلم الذين يقيمون خارج العالم الإسلامي فإن عدد المسلمين هو ربع عدد البشرية.

هذا حول أوضاع الدين في العالم الإسلامي وفي أوساط المسلمين، وأما خارج إطار الإسلام فقد سجلت الملاحظات الآتية:

١- عودة الفكر الديني والاعتقاد بوجود إله خالق لهذا الكون.

٢- عودة القيم الدينية إلى رأس قائمة القيم الأخلاقية ومعايير السلوك.

٣- انحسار الإلحاد في عدد من البلاد الغربية وبخاصة أوروبا الشرقية؛ نتيجة تضاؤل الدعاية للإلحاد والتضييق على الدين في هذه البلاد.

٤- نمو عدد الحركات والمنظمات الدينية، إلى حد يخشى من استغلال هذه الظاهرة لأهداف تجارية مادية.

٥- نمو وانتشار الاعتقاد بأن الدين يقدم نسقاً منسجماً للحياة الإنسانية.

٦- زيادة عدد الحركات والتيارات المنظمة الهادفة إلى إصلاح التعاليم الكنسية تحت

شعارات عدة منها «تجديد الحياة الإنجيلية»[٥] في المسيحية كما في غيرها من الأديان.

هذه نماذج مختارة من الملاحظات الكاشفة عن ما أسميناه إحياء الفكر الديني. وبعض هذه الظواهر أو الملاحظات نجدها لا تقتصر على دين واحد من الأديان، ما سمح للبروفيسور كراوس كينتسلر (Klaus Kienzler) باعتبارها العناصر المشتركة لكل الحركات الدينية في كتابه «الأصولية الدينية».

وعلى أي حال، فقد قدمت أجوبة عدة وغير مقنعة في كثير من الأحيان عن السؤال حول سبب انتشار وتوسع الظاهرة الدينية في هذا العصر، ومن هذه الأجوبة التي قدمها عدد من الدارسين الغربيين: تفكك الاتحاد السوفياتي، توحد ألمانيا، انتهاء الحرب الباردة، الوحدة الأوروبية، ...إلخ؛ ولكن هذه الأجوبة كلها لا تقنع، بل إن العوامل المعنوية الكامنة وراء هذه الصحوة العظيمة لا يمكن مشاهدتها بعين وضعية تجريبية، ولولا النظر إلى أسباب هذه الظاهرة من منظار المادة لرأوا أن ما يرونه أسباباً وعوامل مؤثرة، هو نتائجٌ وآثارٌ لهذه الصحوة الدينية، والوعي الروحي عند الإنسان. وسوف نستعرض بعض الاعترافات الغربية في ما سيأتي من هذه المقالة.

آراء المستشرقين حول الإمام:

إن تصنيف آراء وتصورات المستشرقين حول الإمام الخميني وأبعاد شخصيته المتنوعة، ليس بالأمر المعقد فيما إذا بني على ما هو متوفر بين أيدينا عن خلفياتهم الفكرية وأهدافهم الثقافية؛ وفي عجالة مختصرة يمكن ردّ هذه الآراء إلى مجموعات ثلاث، هي:

١- السكوت والكتمان.

٢- التصورات المتعصبة.

٣- الاعترافات الحذرة.

ولا نقصد من هذا التصنيف إنكار وجود المنصفين، بل ما نرمي إليه هو الحديث عن التيارات الواسعة الانتشار بين هؤلاء، وإلا فإننا لا نستطيع إنكار وجود المخلصين ذوي الأهداف الصادقة، فهؤلاء لهم وجودهم ونذكر منهم كنموذج، الباحثة الكبيرة آن ماري شيمل، التي أبدت في أبحاثها حول الإسلام درجة عالية من الإنصاف والصدقية. وهي نفسها تشكو مما نشكو منه تجاه مواقف الاستشراق، فتقول في حوار لها مع صحيفة

إطلاعات: «إن ما يزعجني ويقض مضجعي أن نبي الإسلام ما زال في الغرب مجهولاً، وقليل من الأوروبيين يعلمون أن هذا النبي مهوى أفئدة الملايين من المسلمين»(٦)

وكذلك يشار إلى المستشرق الفرنسي ماكسيم رودنسون في كتابه «جاذبيات الإسلام»، الذي يوجّه فيه انتقادات حادة إلى بعض تيارات الاستشراق ومناهجهم، ويقول: «... لا شك في أن الهدف الذي كان يسعى إليه الاستشراق والروح الحاكمة على أبحاثه هي مواجهة الإسلام»(٧)

إن دراسات الإسلام في أوروبا بدأت منذ القرون الوسطى وما زالت مستمرة؛ أي منذ أن وضعت أسبانيا نفسها في خدمة بعثات التبشير الكاثوليكية إلى عصر دوائر المعارف والموسوعات، مروراً بهيغل وحتى يومنا هذا. خلال هذه المسيرة الزمنية كانت تعاني الدراسات الاستشراقية من سلائق خاطئة وفرضيات غير صحيحة، ومن استخدام مناهج غير مناسبة لموضوع البحث. وفي ظل هذا كله، وبالرغم من ولادة علوم عدة يدخل البحث حول الإسلام في إطارها مثل: علم الأديان المقارن، وتاريخ الأديان، والدراسات الدينية، وغير ذلك من العناوين، مع كل ذلك، لم يتمكن الاستشراق من التعرّف على الإسلام أو تعريفه للأوروبيين كما هو؛ وذلك لأنه كان يُسقط على الفكر الإسلامي وعلى الإسلام نفسه مشخصات الفكر الديني المسيحي نفسها. وبعبارة أخرى، إن مشكلة الاستشراق في دراسته للإسلام تكمن في أنه لم يع أو لم يرد أن يعي أن الإسلام بالرغم من كونه ديناً، وبالرغم من كونه آخر الأديان الإبراهيمية إلا أنه بنى حضارة ذات جذور امتدت بشكل منفصل ومستقل إلى حد كبير عن سائر الحضارات. وفي ضوء عدم الوعي هذا، ترى أن أجمل ما يصدق على المستشرقين في بحثهم عن الإسلام، قوله تعالى في وصف الشعراء: ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾.

وبناء على التوصيف المبيَّن أعلاه يتضح موقف الاستشراق من الإسلام، وتبعاً، له من الثورة الإسلامية وقائدها الإمام الخميني(ره). ولكنّ قوة حضوره(ره) لا تدع مجالاً لمن يريد إنكار دوره، ولا تسمح للباحث إلا بالاعتراف بالدور الكبير الذي لعبه في مسيرة إحياء الفكر الديني، وأعتقد أن الأيام سوف تكشف تدريجياً عن عمق التأثير الذي كان له، الأمر الذي سوف يفرض على الباحثين مزيداً من الاعترافات والتقدير لهذه الشخصية الفذة.

الإمام الخميني الإحيائي الكبير للفكر الإسلامي:

إن أكثر المستشرقين يعترفون بأن الإمام الخميني يعدّ من أكبر الإحيائيين المعاصرين؛ بحيث يمكن القول إن كل ما كان يدعو إليه المجددون والإصلاحيون منذ بدايات القرن التاسع عشر تحول إلى واقع ملموس على يديه وبفضل جهوده، الأمر الذي يسمح لنا بالقول إنه – رحمه الله – افتتح عصر نهضة إسلامية جديدة.

وممن اعترف بهذا الدور، البرفسور كلاوس كنيتسلر، أستاذ الدرسات اللاهوتية في جامعة اوكسبورغ، وصاحب مجموعة مهمة من الدراسات مثل: «القيامة» ١٩٧٦، و«الأسطورة والإيمان» ١٩٨٥، و«فلسفة الدين» ١٩٩٨، و«الأصولية الجديدة» ١٩٩٠، و«الأصولية الدينية» ١٩٩٦؛ يقول هذا الباحث في كتابه «الأصولية الدينية»: «**لقد بدأ استخدام مصطلح «الأصولية» وإطلاقه على بعض الحركات الدينية الإسلامية في العقد السابع من القرن العشرين. وفي هذا المجال توجهت الأنظار أكثر ما توجهت إلى إيران والثورة التي فجرها الإمام الخميني، ثم كان لهذا الحدث آثاره التي اجتاحت أقطار العالم الإسلامي بأشكال مختلفة.**

وإن هذه النهضة مثّلت مفاجأة كبرى لكل المراقبين وبخاصة الغرب بساسته ومفكريه؛ وذلك لسيادة الاعتقاد بأن الإسلام كان قد فقد تأثيره وفاعليته تحت تأثير ضربات الاستعمار للعالم الإسلامي في القرن التاسع عشر وبعده...»

ويضيف قائلاً: «**إن مفهوم الأصولية بعد الثورة الإيرانية والخميني أخذ شكلاً مختلفاً ميزته الأساس تسييس الدين، هذا الفكر الذي له من يتبناه في عدد من بلدان العالم الإسلامي كباكستان والسودان وغيرهما. وتهدف هذه الأصولية الجديدة إلى إقامة الدولة الإسلامية وتأسيس دولة الله على الأرض، تقوم على إحياء القوانين الإسلامية وتعاليم الشريعة الإسلامية الأمر الذي سوف يؤدي إلى إفشال كل محاولات نفوذ الليبرالية إلى المجتمعات الإسلامية**».(٨)

وفي السياق نفسه أو قريباً منه، يقول برنارد لويس الكاتب والمستشرق الأميركي اليهودي في كتابه «نفس الله، العالم الإسلامي والغرب: صراع الثقافات»: «**في السنوات الأولى لتأسيس الجمهورية الإسلامية، أُعلِن عن كون الشريعة والتعاليم الإسلامية أساساً**

وأصلاً يجب الالتزام به. وجعلت الدولة على قائمة أهدافها تجديد وبعث الحياة الدينية، وذلك من خلال مقولة تصدير الثورة إلى خارج إيران من بلدان العالم الإسلامي. اعتبرت أمريكا هي العدو الأول للثورة نظراً إلى دعمها غير المحدود للنظام الملكي السابق، بل لقيادتها الغرب الذي يمثل العدو القديم للإسلام». (٩)

ويضيف موضحاً رؤية الإمام الخميني إلى أمريكا وبخاصة المصطلح الذي أطلقه رحمه الله، أي مصطلح «الشيطان الأكبر»: «لم يكن الإمام الخميني ليخاف من معاداة القوة العظمى أمريكا من حيث إنها قوة عظمى، وما كان يثير هواجسه هو سحر الحياة الأمريكية وتأثيرها المضلل للشعوب؛ ولذلك كان الموضوع الأكثر إثارة للنقاش في إيران هو موضوع التأثر بالغرب «غربزدكي» أو ما يمكن تسميته لوثة الغرب».

ويقارن برنارد لويس بين الاتجاه الإسلامي في إيران وبين غيره من التيارات الإسلامية الأخرى، فيقول: «لقد نجح المتطرفون المصريون في حذف رئيسهم من الساحة ولكن النظام بقي قائماً يمارس دوره ويتابع مسيرته، أما الإيرانيون فقد أكملوا شوطهم وأزالوا النظام وأقاموا دولة بعد ثورة طبقت شهرتها الآفاق». (١٠)

وفي كتاب «القوى المسلحة في الشرق الأدنى وشمال أفريقيا»، من إعداد هيئة البحث العلمي والخدمات العسكرية التابعة لوزارة الدفاع النمساوية، ورد: «بالتزامن مع سقوط الشاه وقيام حكومة الخميني في إيران، بدأت مرحلة لم تكن متوقعة، وكان لهذه الحركة الجديدة آثارها السياسية والثقافية على العالم الإسلامي إلى حدّ لم يكن يخطر على بال أحد. ولا شك في أن الخميني تحول إلى رمز من رموز الصحوة الإسلامية، وليس من المبالغة في شيء القول بأن الدين الإسلامي تحول بعد الخميني إلى طاقة محرّكة لإنتاج الأحداث السياسية في العالم» (١١)

ويقول مؤلف كتاب «الإسلام المعاصر» المستشرق الألماني أودوشتاين باخ: «الخميني هو أول من أعطى الأصولية الإسلامية بعدها الواقعي في قالب دولة هي الجمهورية الإسلامية في إيران، وهو أهم من استطاع تعبئة الجماهير ضد النظام الملكي الموالي للغرب».

وكذلك يقول أحد أبرز المهتمين بشؤون الإسلام في صحيفة «سالزبورغر نخريشتن»، كلاوس برينغ في عدد ٩ تموز من عام ١٩٩٤، في تحليل له حول انتصار حزب الرفاه الإسلامي التركي في الانتخابات البلدية: «ليس فقط كل الفقراء والمحرومين في العالم

الإسلامي ينصتون بإصغاء كامل إلى الدعاة إلى العودة إلى تعاليم القرآن والإسلام، بل إن هذا الإصغاء قد انتقلت عدواه إلى النخب والخواص الذين صاروا يعتقدون أن هذه العودة هي أحد أهم سبل الخلاص من سيطرة الغرب وإزالة الأنظمة الملحقة به. وإن الأتراك يجدون في الثورة التي قادها الإمام الخميني أسوة حسنة لهم، هذا على الرغم من الاختلاف المذهبي بين سنة تركيا والتشيع الموجود في إيران، ولكن مع ذلك يرون أن الخميني هو آخر الدعاة إلى الوعي بالذات والعودة إلى الجذور الإسلامية».

ونشر البرفسور لودفيغ هافمان مقالة له بعنوان «بين الدين والسياسة الأصولية في الشارع» المنشورة في عدد ٢١ كانون الثاني لعام ١٩٩٢م من صحيفة Neue Zürcher Zeitung، يحلل فيها أهم أسس الإحياء الديني على النحو الآتي:

١- لا بد من إعادة الوحدة بين السياسة والدين.

٢- لا بد من أن يتولى الإسلام كل شؤون الحياة الإنسانية.

٣- الإسلام هو الحل الأمثل والشكل الأفضل للدولة المعاصرة.

ويؤكد مضيفاً: «إن ما قام به الخميني يعتبر تجسيداً حياً لهذا الشعار، وبالرغم من كون قادة الثورة من أتباع المذهب الشيعي، إلا أن قادة هذه الثورة لم يسمحوا بولادة انطباع عن كون الثورة إيرانية أو شيعية، بل سعوا جاهدين لتكون ثورة إسلامية، وخطوة في سبيل وحدة المسلمين».

في سلسلة هذه الاعترافات بفرادة الإمام الخميني، يقول الدكتور أندريا ماير: «إن تجربة الجمهورية الإسلامية التي أعقبت الثورة الإسلامية تجربة فريدة ولا مثيل لها في التاريخ؛ حيث إنها الحالة الأولى التي تتحقق فيها شعارات الأصولية الإسلامية حول الدولة إثر ثورة أدت إلى إحلال النظام الإسلامي بطريقة غير تقليدية محل نظام علماني ملحق بالغرب. ويمثل هذا الحدث في نظر كثير من المسلمين انتصاراً للإسلام على الهيمنة الغربية وبخاصة الأمريكية منها، ومن هذه الزاوية يمكن اعتبار هذه الحالة مثالاً يحتذى به للمسلمين في العالم».(١٢)

وفي مقالة لأرنولد هوتينجر الصحافي السويسري، يقول: «إن موقف أكثر الأصوليين الإسلاميين يتلخص في المعادلة التالية: الإسلام = الشريعة، والشريعة هي مجموعة القوانين والنظم التي جمعها الفقهاء المسلمون عبر التاريخ. ولا يشك أحد في أن انتصار الثورة الإسلامية بقيادة الخميني تعد نقطة قوة للمسلمين جميعاً»(١٣)

وأخيراً في هذا السياق يرى الدكتور أندريه غريبر رئيس أحد الفرق البحثية في عمان الأردن في كتاب له: «**إن فكرة إحياء الحياة الإسلامية والعودة إلى الأصول فكرة عابرة للقوميات والدول في العالم العربي والإسلامي، ولا تنحصر هذه الفكرة بالمسلمين في البلدان ذات الأكثرية الإسلامية، بل هي حلم يراود المسلمين حتى حيث يمثل المسلمون أقلية، كما في حالة الهند والفليبين والاتحاد السوفياتي السابق، وكذلك لا تختص هذه الفكرة بفئة اجتماعية خاصة بل تعم في جاذبيتها وتأثيرها سائر الطبقات الاجتماعية وتجد لها قبولاً في الكثير من الأوساط، من الباعة المتجولين، والمشردين، إلى الطبقات الموسرة مادياً**».

بالرغم من جريان عادة المستشرقين على التعمية على الدور الذي لعبه الإمام الخميني في مجال إحياء الدين والفكر الديني خارج إطار الإسلام، إلا أن التتبع كشف عن مجموعة من الاعترافات ندرجها في ما يأتي:

يقول الدكتور كارستن كولب المستشرق والباحث المعروف في الشؤون الإيرانية، بعد اعتبار الإمام الخميني مؤسساً لنهضة دينية على مستوى العالم: «**إن الإمام الخميني وثورته التي أدت إلى قيام الجمهورية الإسلامية، تعد في نظر المسلمين المقيمين في الغرب خطوة على طريق البحث عن الهوية الإسلامية الضائعة، ولا شك في أن لهذه الثورة آثارها العابرة للقوميات والدول**».

ثم يضيف مؤكداً دور الثورة في إثارة فضول وعطش الأوروبيين للتعرف على الإسلام فيقول: «**بعد انتصار الثورة عام ١٩٧٩م سعى الكثيرون للتعرف على الإسلام والثورة الإسلامية، سواء في ذلك المسلمون رجالاً ونساءً أو عامة الناس من المسيحيين الكاثوليك، من طلاب المدارس إلى الموظفين، ورجال الشرطة، انتهاءً بالمنتسبين إلى الجمعيات الكنيسية**».(١٤)

وبالعودة إلى الدكتور كلاوس كينتسلر نجده يقول في كتابه المشار إليه قبل قليل: «**احتدم الكلام عن الأصولية في جميع المجالات الاجتماعية والسياسية والدينية منذ مدة، وقد أجج البحث عن هذه الأمور ما حصل في إيران من انتصار الثورة الإسلامية التي جذبت عقول الملايين حول العالم**». ويرى في مقدمة كتابه أن هذه الحركة سوف تتحول إلى ملهم لأتباع الأديان الأخرى كالبوذية وغيرها.

ويقول مترجمو كتاب «الحكومة الإسلامية» إلى اللغة الألمانية في مقدمة ترجمتهم: «**عندما أطلقت الرصاصة الأولى في قم عام ١٩٧٧م، وتلتها المظاهرات الصاخبة في تبريز؛**

بدأ الطلب والبحث عن كتاب «الحكومة الإسلامية» الذي يمثل المستند الفقهي الأهم للثورة الإسلامية، واشتدت الرغبة بهذا الكتاب بعد سقوط نظام الشاه واستقرار الجمهورية الإسلامية محله».

ويقول الدكتور بيتر شول في كتابه «سيف الإسلام، ثورة باسم الله»: «إن رسالة الخميني إلى غورباتشيف تؤكد إفلاس الاشتراكية مادياً ومعنوياً، وقد حان الوقت ليبحث الاتحاد السوفياتي عن طريق خلاصه في الإسلام، وهذه الدعوة تمثل في الواقع دعوة سوريالية للعودة إلى الله سبحانه».

ويتابع مؤنباً الدارسين الغربيين على تقييمهم للثورة الإسلامية فيقول: «إن الحديث هنا عن ظاهرة عالمية. وإن نبي الإسلام محمد(ص) كان واعياً بهذا الدور العالمي الموكول إليه، فهو في ذلك العصر الذي لم يكن اكتسب فيه شهرة كافية حتى في الجزيرة العربية نفسها بدأ بإرسال الرسائل إلى الدول العظمى التي كانت مسيطرة على أجزاء كبيرة من العالم في ذلك الزمان؛ حيث تكشف روايات المؤرخين لتلك الفترة عن رسائل وجهت إلى قيصر ملك الروم، وكسرى ملك بلاد فارس والمقوقس زعيم الأقباط في مصر يدعوهم فيها إلى الإسلام، وبالرغم من عدم قبولهم لهذه الدعوة في وقتها إلا أن هذه الأنظمة ما لبثت أن تهاوت جميعاً تحت ضربات الإسلام المتتالية لها».

ويقول أصحاب كتاب «القوى المسلحة في الشرق الأدنى وشمال أفريقيا»: «إن فكرة الإحيائية الإسلامية التي روّج لها الإمام الخميني مثلت نقطة قوة له، وفي الوقت عينه كانت فاتحة تطور جديد أسس لظهور أصولية جديدة تحوّل فيها الإسلام إلى أيديولوجية سياسية لها قدرة سحرية في مجال إحياء الوعي الذاتي بهوية الأمم»[١٥]

ويقول جيل كيبل عالم الاجتماع وأستاذ كرسي الدراسات العربية في إحدى جامعات فرنسا في محاضرة له في مؤتمر «أوروبا والأديان» الذي انعقد في فيينا في أكتوبر ١٩٩٤م: «لقد أوجد الشباب المسلمون الذين ولدوا وترعرعوا في أوروبا خلايا ناشطة تتردد بين البقاء في أوروبا ومعاناة آلام التمييز وبين الرحيل».

ويضيف مؤكداً دور الإمام الخميني في إحياء الحس الديني لدى الشعوب قائلاً، وإن كان من غير صراحة: «إننا نجد بداية حركة اجتماعية وأخلاقية جديدة بين المسلمين المقيمين في أوروبا إثر قضية سلمان رشدي ومسألة الحجاب والزي الديني».

وقبل الختام نشير إلى مقتطفات من كلام لأسقف كانتربري السابق، الكاردينال فرانتس كونيغ في المؤتمر المشار إليه أعلاه، يؤكد فيه ضرورة التفاهم بين الأديان لمواجهة موجات الإلحاد واللادينية التي اجتاحت وتحاول اجتياح العالم، حيث يقول: «**إن من أهم واجبات ودواعي الحوار بين اتباع الأديان هو تشكيل جبهة مشتركة لمواجهة محاولات تمزيق صفوف المتدينين ومواجهة أولئك الذين لا يؤمنون بالله**».

ونختم بنص ننقله عن الدكتور غوتفريد شايبر، مدير معهد دراسات اللاهوت المسيحي في النمسا حيث يقول: «**إن البحث عن الأصولية الإسلامية لم يقدم الكثير من النقاط المهمة والأساسية لعلماء التاريخ والسياسة، ولكن البحث عن هذا المفهوم فيه الكثير من الجدة والفائدة للباحثين في الدين واللاهوت» ويضيف في محل آخر من كتابه: «إن ما أدهش الباحثين في أوضاع إيران المعاصرة هو الوفاء المطلق وغير المشروط الذي أبداه الإيرانيون تجاه «آية الله»، ولا يمكن مقاربة هذا الواقع والبحث حوله من دون اللجوء إلى البرهان اللاهوتي والكلامي. وربما يكون مستهجناً القول: إن ما يطلق عليه الأصولية ليس من الأصولية في شيء؛ وذلك لأن الأصولية تعني قبول فكرة من دون دليل أو تأمل عقلي فيها، وما فعله الإمام الخميني هو أنه نقل ما يؤمن به إلى الناس وأقنعهم به من خلال الدليل ومراعاة أحوال الزمان والمكان**».[١٦]

وأخيراً: كانت هذه بعض الآراء والنظريات التي طرحها بعض المفكرين الغربيين حول دور الإمام الخميني في إحياء الفكر الديني في العالم الإسلامي وخارجه، وبالرغم من النقص في معلومات هؤلاء والأهداف السيئة لبعضهم أحياناً، إلا أننا نستطيع تلمس بعض المقاربات الواقعية في ثنايا أقوالهم. وأحسب أننا لو بذلنا جهداً أكبر مما نبذله لاستطعنا تقديم صورة أفضل وساعدنا الباحثين المخلصين على الوصول إلى الحقيقة، وقطعنا الطريق على المغرضين أو أسقطنا حجّتهم على الأقل.

الهوامش:

(١) الدكتور رينهارد، الإسلام والمسيحية في أوروبا، ١٩٩٤م. ألمانيا.

(٢) يعد كتاب السيف الأخضر تركيا بين البلدان الإسلامية الملفتة في هذا المجال؛ حيث يقول الكاتب: في تركيا بشكل عام يزداد عدد المقبلين على الإسلام، فبحسب الأرقام والإحصاءات الحكومية فإنه في سنة ١٩٩٠م. بلغ عدد الطلاب في المدارس الإسلامية نحو ١٥٥٤٠٣ تلميذا موزعون على حوالي ٤٧١٥ مدرسة؛ بينما لم يبلغ العدد النصف عام ١٩٧٤م. وبلغ عدد نسخ المصحف الشريف التي طبعت في تركيا حوالي مليون نسخة، ما بين عامي ١٩٧٩/ ١٩٨٧.

(٣) وقد أثبتت هذه الوقائع خلال عدد من المداخلات المقدمة إلى مؤتمر حول الأديان عقد في النمسا عام ١٩٩٣من قبل عدد من الجامعات ومراكز البحث العلمي.

(٤) جان لين لا كابل، ترانس آتلانتيك، ٢، ١٩٨٩م.

(٥) هذا المصطلح من مبتكرات البابا جان بول الثاني وقد طرح للمرة الأولى عام ١٩٨٩ أثناء زيارته للنمسا واعتبره عنوانا لنهضة مسيحية تشمل القارة الأوروبية ومسيحيي العالم.

(٦) صحيفة اطلاعات (الفارسية)، طبع لندن، ١٨ شباط ١٩٩٧.

(٧) Maxim Rodinson:La fascination de l islam, Paris,1980

(٨) الأصولية الدينية، ص١١.

(٩) برنارد لويس، نفس الله، العالم الإسلامي والغرب: صراع الثقافات؛ نقلاً عن الترجمة الألمانية، ١٩٩٤، ص٢١٤.

(١٠) المصدر نفسه، ص١٧٧.

(١١) القوى المسلحة في الشرق الأدنى وشمال أفريقيا، النمسا، ١٩٩٥، ص٢٨٢-٢٨٣.

(١٢) أندريا ماير، المهمة السياسية للإسلام، ص٢٩٩.

(١٣) الأصولية الشريعة كأداة للسلطة، مقالة منشورة في نشرية: «مجتمع السلام المسيحي»، العدد٣٨٢، بتاريخ كانون الأول ١٩٨٧.

(١٤) كارستن كولب، مشكلة الإسلام، ص٦٧.

(١٥) القوى المسلحة في الشرق الأدنى وشمال أفريقيا، ص٢٨٥.

(١٦) Scheiber:EindeutigeAntworten Fndamentalistische Versuchung in Relegion Gottfried W. ind Gesellschaft